

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَفَاءُ الْقُلُوبِ

الحمد لله الذي جمل القلوب بمحبة علام الغيوب، سبحانه ﴿يَعَلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١)، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بتركية القلوب وتطهيرها من دنس العصيان، ونشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، هدب القلوب بأخلاق القرآن، كذلك وعلى الله وصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فيا عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فإنها وصيمة الله للأولياء والآخرين، وطريق النجاة من العذاب المهيمن، قال تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا أَلِذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تَتَقَوَّلُوا أَنَّهُمْ رَحْمَنُ اللَّهُ - أَنَّ الْقَلْبَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَوْدِعًا لِلنُّورِ الرَّبَّانِيَّةِ أَوْ مَرْتَعًا لِلنَّزَغَاتِ الشَّيْطَانِيَّةِ، وَلِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَهْتَمَ بِهِ، فَصَلَاحُ الْقَلْبِ صَلَاحٌ لِسَائِرِ الْجَسَدِ، وَفَسَادُهُ فَسَادٌ لِسَائِرِ الْجَسَدِ، وَقَدْ رَتَبَ اللَّهُ عَلَى صَفَاءِ الْقُلُوبِ النَّجَاهَ يَوْمَ الدِّينِ، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٢)، وَهَبَ اللَّهُ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - النُّعْمَ الْكَثِيرَةَ؛ لِأَنَّهُ طَهَّرَ قَلْبَهُ وَمَلَأَهُ مَحَبَّةً لِللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْءِنِهِ لِإِبْرَاهِيمَ، إِذْ جَاءَ رَبَّهُ، بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤)، وَإِذَا كَانَ صَلَاحُ الْقُلُوبِ هُوَ سَبَبُ سَعادَتِهَا، فَإِنَّ فَسَادَهَا سَبَبٌ لشَقَائِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَدْ نَفَى اللَّهُ عَنْ أَصْنَابِ هَذِهِ الصِّفَةِ كُلَّ خَيْرٍ وَتَكْرِيمٍ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا ضَلَّتْ قُلُوبُهُمْ تَبَلَّذُ

(١) سورة غافر / ١٩ .

(٢) سورة النساء / ١٣١ .

(٣) سورة الشعراء / ٨٨-٨٩ .

(٤) سورة الصافات / ٨٣-٨٤ .

إحسانهم، وفسدت مداركهم، يقول جل وعلا: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ إِذَانٍ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^(١). أيها المسلمون:

إن قساوة القلوب مرض خطير، ينخر كيان المجتمعات الإسلامية وبئدها، ولقد أثبت القرآن الكريم أن القلب يقسُو حتى يصبح كالحجارة أو أشد قسوة إذ يقول سبحانه وتعالى: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً»^(٢)، فمن مظاهر القسوة الشغف بملذات الدنيا وشهواتها، وإتيان المعاشي والذنوب صغيرها وكبيرها، وعدم الإسراع بالتوبة والنذم والإفلات عنها، وعدم القيام بالأعمال الصالحة والنافعة، والتکاسل عن القيام بالواجبات الدينية كالصلوة وأدائها في أوقاتها مع الجماعة مصداقاً لقوله تعالى: «وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا»^(٣). فكيف السبيل - عباد الله - إلى علاج القلب القاسي؟ إن علاج مرض قسوة القلب يكون بالتلمس بالإيمان، وإصلاح النفس وتتركيتها، والمداومة على ذلك عن طريق مراقبة الله وخشيته، واستدامة ذكره وطاعته وتقواه، والامتثال لأوامره وأوامر رسوله ﷺ، ولكي تبقى قلوب الناس صافية، فقد نهى الإسلام عن كل عمل أو قول يعوق صفاء القلوب ونقائتها، يقول الرسول ﷺ: ((إِيَّاكُمْ وَالظُّنُّ؛ فَإِنَّ الظُّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا تَتَفَسُّوا، وَلَا تَحَاسِدُوا وَلَا تَباغضُوا وَلَا تَدَابِرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا))، فأنوار القلوب الصافية كفيلة بإزالة الحقد والكراهية وحب النفس والأنانية، لذلك نهى الإسلام عن طريق الحب والصقاء كل وشایة تورث الضغفاء، فحضر أصحابه أن ينقلوا إليه كلاما عن أحدٍ؛ فقال: ((لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَصْحَابِي شَيْئاً؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَالِيمٌ الصدر)).

(١) سورة الحج / ٤٦ .

(٢) سورة البقرة / ٧٤ .

(٣) سورة النساء / ١٤٢ .

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ صَفَاءَ صُدُورِكُمْ وَتَبِيسِيرَ أُمُورِكُمْ؛ فَلَيْسَ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالْتَّعَمِ
بِعِبَادَتِهِ شَيْءٌ يُحَقِّقُ هَذَا الْأَمْلَ، وَلِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انتِشَارِ الصَّدْرِ وَطَيْبِ النَّفْسِ
وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَبِقَدْرِ مَا تَكُونُ مَحَبَّةُ اللَّهِ يَكُونُ صَفَاءُ الْقَلْبِ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحِبًا
لِرَبِّهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ، وَقَدْ جَرَى حُبُّ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَتَلَذَّذُ
وَيَنْشَرِخُ صَدْرُهُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، فَكَانَ يَقُولُ: ((جَعَلْتُ قُرْآنَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))، وَمَنْ وَسَائِلَ
صَفَاءِ الْقَلْبِ الْمُهِمَّةُ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لِذَلِكَ أَمْرَنَا اللَّهُ بِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذَكُّرُ
رَبَّهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَكَانَ يَنْصَحُ أَصْحَابَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، لَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَجْعَلُ الْمَرءَ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ،
وَمَاذَا يُنْتَظَرُ مِنْ إِنْسَانٍ مَعَهُ رَبُّهُ إِلَّا انتِشَارُ صَدْرِهِ، وَرَفْعَةُ قَدْرِهِ، وَتَبِيسِيرُ أُمُورِهِ، يَقُولُ اللَّهُ
تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي))، وَجَاءَ رَجُلٌ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ؛ فَأَخْبَرَنِي بِشَيْءٍ
أَتَشَبَّثُ - أَيْ أَسْتَمْسِكُ - بِهِ؟ قَالَ: ((لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ))، وَكَيْفَ لَا يَصْقُفُ
قَلْبُ إِنْسَانٍ شَمِلَهُ اللَّهُ بِثَوَابِهِ، وَأَنْجَاهُ مِنْ عَذَابِهِ؟ وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أَشْرَحَ النَّاسَ صَدَرًا،
وَأَرْفَعَهُمْ قَدْرًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَكَانُوا يَعْدُونَ لَهُ فِي مَجْلِسٍ
وَاحِدٍ مِائَةَ مَرَّةً: ((رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى وِقَايَةٌ مِنْ قَسَاوَةِ الْقُلُوبِ، اسْتِجَابَةً
لِوَعْدِ الْحَقِّ تَعَالَى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّ
عَلَيْكُمْ وَمَلَكِكُتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلْمَتِ إِلَى الْنُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» (١).

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ
يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** *** ***

الحمدُ للهِ هَادِي الْقُلُوبِ، سُبْحَانَهُ جَعَلَهَا مَنْبَعًا كُلًّا خَيْرٍ وَفَضْلَةً، وَنَشَهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشَهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَطْهَرُ النَّاسِ قَلْبًا وَسَرِيرَةً،
وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ}.
أَمَّا بَعْدُ، فِيَ عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ صَفَاءَ الْقُلُوبِ وَسَلَامَتَهَا مِنَ الْأَغْلَالِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ صَاحِبِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ، وَيَكْفِي
هَذِهِ النِّعْمَةَ شَرَفًا وَسُمُّوًّا مَنْزِلَةً أَنَّهَا مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ الْغَلَّ لَا يَتَنَاسَبُ مَعَ دَارِ
النَّعِيمِ، وَالْعِزَّةِ وَالْتَّكْرِيمِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَقْسًا إِلَّا
وَسَعَهَا أُولَئِكَ أَمْحَنُبُ الْجَنَّةَ هُمْ فِيهَا خَلِيلُونَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَرُ»^(۱)،
وَيَقُولُ جَلَّ شَانُهُ: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَنَا عَلَى سُرُرِ مُنَقَّبِلَيْنَ»^(۲)، إِنَّ الْعَمَلَ وَإِنْ
قَلَّ، يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِ مَا دَامَ صَاحِبُهُ لَمْ يَحْقِدْ وَلَمْ يَغْلُ، وَالْمُؤْمِنُ يُحِبُّ الْخَيْرَ لِلنَّاسِ فَيَفْرَحُ
إِذَا فَرِحُوا وَيَحْزَنُ إِذَا تَرِحُوا، وَيُسَارِعُ إِلَى مَا يَسْرُهُمْ، وَيَذْبُثُ عَنْهُمْ كُلَّ مَا يَضْرُهُمْ، وَلَقَدْ
بَشَّرَ الرَّسُولُ ﷺ رَجُلًا بِالْجَنَّةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَحَرَصَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرَو
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَهُ لِيَعْمَلَ مِثْلَهُ؛ فَلَمْ يَجِدْ عَمَلَهُ يَفْوَقُ عَمَلَ غَيْرِهِ، فَقَالَ
لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: (لَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرًا عَمَلًا، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا هُوَ
إِلَّا مَا رَأَيْتَ يَا ابْنَ أَخِي، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لَأَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًا، وَلَا أَحَدُ
أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: هَذِهِ التَّيِّنَى بَلَغَتِ بِكِ)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَلَا تَعَااهُدُ هَذِهِ الْقُلُوبَ فَنُطَهِّرُهَا مِنْ كُلِّ غِلٍّ وَشَحْنَاءَ،
وَنَمْلَأُهَا صِدَقًا وَوَفَاءً، حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ عَنَّا، فَيَجْعَلَنَا مِنْ قَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرُّ الْمُحَاجِلِينَ، فَقَدْ أَمْرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلَيْمًا: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ

(۱) سورة الأعراف / ۴۲-۴۳ .

(۲) سورة الحجر / ۴۷ .

عَلَى الَّتِي يَكْتُبُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا صَلُوةً عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا سَلِيمًا»^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلْفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنِّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلْمَاتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرُ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أُوطَانَنَا وَأَعْزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمَيْنَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيَّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ. اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزَرْوُ عَنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَةِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».